الفصل الرابع عشر

دخلت البيت الذي شهد على أجمل مشاعر تخللت جسدي لم أعرفها من قبل هو هذيان سحر، كيف هربت ولم أعلم، أكان هروبي خوفا، أن تكون لحظات حلم وتنتهي بأسرع مما أتت، أفقت من شرودي على صوت أحمد... لاأعلم إلى متى أنت معنا بالجسد وروحك في مكان آخر، تعالى إلى غرفة الطعام لنأكل مع والدتك ثم تأخذين بيدها إلى غرفتها لتستريح.

بعد انتهاء الطعام أخذت والدتي إلى غرفتها المجهزة بسرير مريح وخزانة وتلفاز وكنبة صغيرة، كانت فرحة أمي بغرفتها الأنيقة جزءا من حلمها، شعرت بها سعيدة وهذا ما خفف من حالة الذهول التي تملكتني.

وبقيت عندها بالغرفة تلك السيدة التي أحضرها أحمد لتهتم بأمرها، هي سيدة طيبة الملامح في العقد الثلاثين من عمرها أو ربما أكبر بقليل وعدت أجلس مع أحمد في الشرفة لنشرب الشاي.

obeikandl.com

أشعل سيجارة وأعطاني إياها وأشعل لنفسه أخرى وأنا أنظر إليه مبهورة تتملكني الدهشة الممزوجة بالإعجاب. مروره بحياتي كان زوبعة نارية أخذت تلفني بمشاعر لطالما افتقدتها، مع كل ما أنا فيه من متاعب وإرهاق استولى على روحي إلا أنه يتسلل ويشعل في داخلي رغبة الالتحام به، كنت أنظر لعينيه بشوق يقرأ في عيني تلك الرغبة إليه دون قصد مني وشفاه ترتعش تنادي شفتيه دون كلام كانت مشاعري تتوهج شوقا إليه وهو ينظر إليّ بذات الشوق، دون أية مبادرة، يبدو أنه مستمتع بتلك النظرات العشيقة والرغبة الظاهرة بكل تفاصيلي، لم يدم طويلا، وقف واستدار خلف الكرسي الذي أجلس عليه، وعانقت يداه عنقي.

وقال: حياة أخبرينى هل تشعرين بالسعادة معي و وصلك ما أحمله لك من حب وولع.

يتكلم وأنامله تمر على وجهي وكأنه يرسمها لا يريد أن ينسى أي تفصيل منها وتوقف فجأة..

- حياة تبكين، «لقد تبللت يداه بالدموع المنهمرة على وجهي بصمت»

-هل بدر مني ما أزعجك حبيبتي أخبريني ما بك..؟

وقفت.. استدرت نحوه، عانقته بكل ما في قلبي من حب وشوق إليه وهو يربت على كتفي بحب وحنان.

- أخبريني حياة ما بك هل صدر مني ما يزعجك، قبل أن يكمل كلامه وضعت أناملي على شفتيه وقلت هي حالة حب لا أصدقها أوصلتني لنوبة البكاء تلك أحبك أحمد.

حملني كفراشة بين يديه فرحا وأخذني لغرفتي وضعني على سريري ومازال هناك الكثير من مزيج الفرح والذهول والدموع تنهمر من عيني، تلمس شعري بكل حب وداعب وجهي بخصلة من شعري وقبلني من جبهتي وقال لي: نامي حبيبتي ودعيني معك في أول حلم

تعلمين أنه لدي زوجة وولدين وتأخرت، ولكن قلبي وروحي سكنا داخلك لن يفارقوك خرج أحمد، ولكن قبل خروجه أضاف لحالة الذهول تلك حزنا عارمًا، حين ذكر زوجته وأولاده لم أكن أعلم كيف يقول تعلمين، هل هذا من البديهي، هذا ما يعنيه، سمعت طرق خفيف على الباب، كانت الخادمة حليمة تطلب إذن بالدخول حين دخولها ووجدتني بحالتي تلك، جلست على الكرسي المجاور للسرير.

- اسمك حياة، اسمي حليمة، أحضرني سيد أحمد لأهتم بك وبوالدتك.

وأحمل عنك بعضا من همومك، حدثني سيد أحمد كم كانت الحياة قاسية عليك، إنه يكن لك الكثير من الحب والاحترام.

- شكراً لك حليمة، وأنا أحبه كثيرا، أخبريني حليمة منذ متى تعملين عند أحمد؟

- منذ زمن..

هل تريدين النوم؟

لا إني أشعر بقلق شديد أتمنى أن تبقي معي، هل نامت والدتي

- نعم كنت عندها الآن وجدتها غارقة في النوم.

- إذا هل تحدثيني عن نفسك إذا كان ذلك لايسبب لك ألما؟

- الألم جزء من حياتنا سيدتي، خلق معنا، وكنت أريد أن أقول لك الكثير ولكن توقعتك تريدين النوم.

-ينتابني شعور بالخوف والوحشة يتفجران داخلي وتتراءى أمامي خيالات لذلك الزمن الحزين. مزيج من الدهشة..الفرحة.. الحب والخوف يسيطران على جفوني حتى جافاني النوم. تكلمي حليمة أنا معك أريد سماعك

- ربما وجدت بعض الغرابة فيما سأقوله لك وربما زاد شعورك بالخوف ولكن سأخبرك بداية قصتي لعلك تجدين فيها ما يهدأ من بركان حزنك سيدتي.

obeikandl.com

- كنت أعيش في بيت متواضع مع والدي حرمني القدر من والدتي وأنا صغيرة في أول مراحل طفولتي، كنت أهتم بوالدي على قدر ما تعينني به يداي الصغيرتان وجسدي النحيل. كان بيتنا يتألف من غرفتين ومطبخ صغير يفتقر لكل شيء ولكن له الجدران التى تأوينا وتحفظ حرمتنا كان والدي يذهب إلى عمله وأبقى في البيت فمثلي لا يحق لها التعليم، كان لوالدي قريب يساعد والدي بقليل من المال، طمع بي وفعل فعلته وهرب ولم استطع أن أخبر أحدا بما حدث لي

«انتفضت حياة من سريرها وحالة الرعب على وجهها وأشعلت سيجارتها»

أخبريني بما حدث بالتفصيل لم تقاوميه لم تصرخين !!؟؟

كنت وحدي في المنزل بعد ذهاب أبي إلى العمل طلب مني قبل ذهابه أن اهتم بقريبه وأحضر له طعام الفطور قبل سفره إلى الخليج وهو مقر عمله، هو رجل كبير في السن في العقد الخمسين من عمره يكتسي رأسه بالشعر الأبيض، ذو عينين كبيرتين جاحظتين أنفه كبير كنت لا أستطيع النظر إلى وجهه ليس لملامحه البشعة ولكن لأني لا أرتاح لنظراته الوقحة.

وبينما أحضر له الفطور تسلل خلفي وانقض عليّ كصقر جائع بيديه الخشنتين صرخت..... بكيت....لم يسمعني

obeikandl.com

أحد صراخي ومحاولتي الهرب من بين أنيابه، ازداد وحشية وألقى بجسدي أرضا وأخذ يمزق ملابسي وينهش من جسدي ما ظهر منه ومالم يظهر، كنت نعجة بين يديه تذبح. بعد كل الصراخ والألم لم يرحم ولم يستجب لتوسلاتي وفجأة انتفض مسرعا وخرج من المنزل. هذا آخر شيء أتذكره قبل أن أدخل في غيبوبتي لم أصحو إلا وأنا في المستشفى وفوق رأسي كثير من الوجوه لم أميزها كنت أراها مجرد أشباح سمعت إحداهن تقول» مسكينة تلك الفتاة أي عملية اغتصاب تعرضت لها»

كنت أنظر إليها بدهشة وخوف أفتح فمي وأنا أبتلع ما تقول وتغص تلك الكلمات في حلقي.

تابعت حليمة حديثها «والدموع تنهمر من عينيها تأخذ خطا سيلا يحرق وجنتيها»

- حين صحوت في اليوم الثاني اختلط عليّ عتمة الليل بضوء الصباح كانت تهمس بعض الممرضات انتهت حياة تلك الفتاة المسكينة لم تعد تصلح للزواج وأصبحت منبوذة لابد أن أهلها سيقتلونها غسلًا للعار، فهمت مما سمعت أن ما حصل شيء مشين ومعيب قررت الهرب من المستشفى انتظرت هبوط الليل وخرجت متسللة من المستشفى، رغم إني متعبة وحالة النزيف لم تتوقف، مشيت في الشوارع لا أعرف أين أذهب وإلى أين تأخذاني قدامي المتهالكتين

– ماذا حدث بعد ذلك إلى أين ذهبت..؟

– سيدتي عليك أن تنامي اليوم، الإرهاق واضح على وجهك وبدأت تتثائبين غدا أخبرك إن أردت.

خرجت وأغلقت الباب ورائها كنت مستلقية على السرير تائهة على مشارف النعاس و حالة جمود ولكن سلطان النوم كان أقوى مني.

obeikandl.com